بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة على سيدنا محمد وأهل بيته الطاهرين، سيما خليفة الله في الأرضين، واللعنة على أعدائهم أجمعين، ولا حول ولاقوه إلا بالله العلي العظيم.

(المحاكم العشر) في مواجهة الظالمين

المقدمة: يتناول البحث مجموعة من المحاكم التي تواجه كل مجرم، والتي لا يلتفت إليها الناس عادةً، نظراً لكونها محاكم من نوع آخر غير النمط الذي تعوّدنا السماع عنه أو رؤيته، والمحاكم هي: (محكمة الضمير)، و(محكمة الجسد)، و(محكمة العدل الإلهي في الدنيا)، و(محكمة الآخرة)، وهي التي نسمع عنها عادةً، و(محكمة العوالم الأخرى).

وقد تضمن البحث مجموعة من أروع الروايات في المحاكم الثلاثة الأخيرة، وبعض أغرب القصص في المحكمة الأولى، وإحصاءات مهمة في المحكمة الثانية، ليختم بالكلام عن ظلامة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، منوّهاً إلى أنّ فداحة الجريمة تُقاس بعظمة من جرى الاعتداء عليه، ليختم بالمصيبة التي قرأها الإمام أمير المؤمنين على فاطمة الزهراء (عليها السلام) بعد أن دفنها، وتحول إلى قبر الرسول (صلى الله عليه وآله)، وخاطبه بكلمات تذيب صمَّ الصخور الجلاميد.

قال الله العظيم في كتابه الكريم: ﴿**مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ**[1]﴾.

قانون نيوتن الثالث

الآية الشريفة تشير إلى قانون من القوانين الإلهية التي أُسميت لاحقاً بقانون نيوتن الثالث في الفيزياء، وهو: (لكل فعل ردّ فعل يعاكسه في الاتجاه ويساويه في القوة).

فالصاروخ مثلاً إنّما يندفع إلى أعلى بقوة؛ لأنّه يدفع الغازات إلى أسفل بقوة، فتدفعه إلى أعلى بقوة، والسابح في الماء يسحب بيديه الماء إلى الخلف بقوة، فتدفعه المياه إلى الأمام بقوة، فهذا في عالم الطبيعة، وكذلك الأمر في عالم الإنسان والمجتمع، حيث تستبطن الآية الكريمة جريان قانون (لكل فعل اجتماعي أو إنساني ردّ فعل معاكس له في الاتجاه، مساوٍ له في القوة)، وهو قوله تعالى: ﴿**مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ**﴾.

فإنّ من يهين الآخرين يهينونه، ومن يحقرهم يحقرونه.

---

١ النساء: ١٢٣.

وَمَـــن هـــابَ الرِجـــالَ تَهَيَّبـــوهُ وَمَـــن حَقَـــرَ الرِجـــالَ فَلَـــن يُهـــابا

ومن يسبّ الناس يسبّونه، ومن يسرق يُسرق منه، ومن يتّهم يُتّهم، إلّا أنّ الجزاء قد يتخذ أحياناً ألواناً أخرى، أو يتأخر بحسب الزمان.

والمعاصي كلّها كذلك، ومنها أنواع الظلم، فإنّ الرجل الذي يظلم زوجته ويؤذيها، أو العكس، والأخ الذي يأكل إرث أخواته أو إرث ابنته من زوجها المتوفّى، والتاجر الذي يغشّ ويدلّس ويرشو ويرتشي ويرابي ويسرق، كلّهم يستبطن عليه قانون: من يعمل سوءاً يُجزَ به.

وكذلك الحكومة التي تصادر حقوق الناس وحرياتهم، أو تقوم بسرقة أموالهم عبر الضرائب المجحفة وعبر ما يُسمّى بخفض العملة، فإنّه سرقة مقنّعة لا يلتفت إليها كثير من الناس (ولذا فإنّ فداحتها من هذه الجهة أعظم)، إذ يسرق منك قوّتك الشرائية مع الحفاظ ظاهرياً على حجم العملة والنقد.

المحاكم العشر:

والبحث يقع في أنّ الإنسان يغفل عادة عن وجود محاكم متنوّعة وكثيرة تقف بالمرصاد لظلمه وجرائمه ومعاصيه، إذ إنّه إنّما يخاف عادة من المحاكم المعروفة في الدنيا، فلا يسرق مثلاً ولا يقتل إذا خاف انكشاف أمره وتعرّضه للمحاكمة، ثم القصاص أو السجن ٢٥ سنة مثلاً، لكنّه يغفل عادة، كما سبق، عن أنّه وإن تهرّب من هذه المحاكم، فإنّه ليس بمقدوره أن يتخلّص من المحاكم العشر الآتية، ولئن تخلّص من إحداها، فإنّه لا محالة سيقع في شباك المحكمة التالية، وإن فرّ منها فرضاً، فستُطبِق عليه المحكمة الرابعة وإلا فستأخذ بخناقه الخامسة... وهكذا، وبعضهم ممّن تجتمع عليه المحاكم كلّها، والمحاكم هي:

محكمة الضمير

أولاً: محكمة الضمير، فإنّ القاتل والظالم، وإن تخلّص من عقوبة الجهاز القضائي، لكن ضميره يبقى يؤرّقه ويقضّ مضجعه باستمرار، والغريب في هذه المحكمة أنّ المجرم هو الشاهد على نفسه، كما أنّه هو القاضي كما أنّه هو المتهم!

وفي القضيتين التاليتين أعظم العِبَر:

* ديفيد لافر الذي قتل أربعة أشخاص، ففي عام ٢٠١١ قتل ديفيد لافر أربعة أشخاص أثناء سرقة

صيدلية في نيويورك.

وفي مقابلة تلفزيونية بعد اعتقاله، قال إنّه لا ينام إلّا ثلاث أو أربع ساعات، وإنّ مشهد الجريمة يُعاد في ذهنه باستمرار، كأنّه شريط لا يتوقف)[١]، وما أشدّ ايلام ذلك أن يلتصق به مشهد الجريمة ويتجسد أمامه باستمرار طوال الليل والنهار كشريط متحرك يبث بثاً مباشراً!!

* الحارس الذي طاردته وجوه ضحاياه

كان إيساد لاندزو حارساً شاباً في معسكر تشيليبيتش للاعتقال في البوسنة، وقد ارتكب جرائم قتل وتعذيب بحق المعتقلين، فحُكم عليه بالسجن ١٥ عاماً.

بعد خروجه، تحدّث عن ذكريات ضحاياه التي ظلّت تطارده في الأحلام؛ إذ كان يرى وجوههم ويسمع صرخاتهم)[٢]، وأي عذاب مثل هذا النوع؟

وهكذا حال الكثير من المجرمين ممّن يعتدي على جيرانه أو أهله أو يسرق الآخرين، وإن كان بدرجات متفاوتة.

نعم، قد يصاب المجرم بتبلّد الضمير وجمود المشاعر، كما قال تعالى: ﴿**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ فَهِيَ كَالْحِجارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجارَةِ لَما يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهارُ**[٣]﴾، وذلك يكون عادة إذا كرّر الجريمة؛ إذ يُمسخ حينئذٍ إلى مخلوق بلا إحساس، كالضبع أو الذئب تماماً.

وقد مثّلنا سابقاً بالقاضي الذي قصّر في مراجعة الوثائق، فحكم بإعدام بريء ظلماً، ثم لما التفت إلى ذلك ظل فترة طويلة جداً يتعذب، لكنه وكما قال بعد ذلك: أنه قتل العشرات من الأبرياء، في قضية سياسية وقال: لكني الآن لا أشعر بوخز الضمير أصلاً مع أنني أعلم أنهم أبرياء حكمت عليهم بالقتل!

فإذا صار ذلك وتبلّد ضمير المجرم، ابتُلي بالمحكمة التالية، وهي:

محكمة الجسد

ثانياً: محكمة الجسد، فإنّ الجسد يُبدي ردّة فعل سلبية وسيئة على المعاصي؛ إذ الأحكام تابعة

---

١ المصدر: ABC News.

٢ المصدر: دراسة أكاديمية بعنوان Traumatised War Criminal? Documenting the Case of Esad Landžo.

٣ البقرة: ٧٤.

لمفاسد في المحرّمات ولمصالح في الواجبات، فكل معصية فلها أثر سيّئ، كثيراً ما قد يكون على الجسد، وكثيراً ما يكون على غيره.

حقائق وإحصاءات مذهلة عن أضرار شرب الخمر

ولنضرب لذلك مثالاً بارزاً، وهو شرب الخمرة وآثارها على الجسد:

(حقيقة علمية مهمّة: الخمرة ليست مادة تؤثر في الدماغ وحده، بل هي مادة سامّة تؤثر في معظم أجهزة الجسم، وترتبط بأكثر من ٢٠٠ مرض وإصابة وحالة صحية، بحسب منظمة الصحة العالمية.

والأضرار لا تقتصر على المدمنين، بل قد تحدث بعض المخاطر حتى مع الاستهلاك القليل.

أولاً: الأضرار العقلية والنفسية.

١- إضعاف الذاكرة والقدرة على التركيز، بل ومتلازمة فيرنيكه كورساكوف، المرتبطة بنقص فيتامين B١، وقد تسبب اضطرابات شديدة في الذاكرة.

٢- إضعاف القدرة على اتخاذ القرارات السليمة.

٣- ضعف السيطرة على الانفعالات.

٤- زيادة الاندفاع والعدوانية.

٥- زيادة احتمالات الاكتئاب والقلق.

٦- اضطرابات النوم.

٧- الإدمان النفسي والجسدي.

٨- تلف بعض الأعصاب الطرفية.

٩- زيادة خطر السكتة الدماغية)[١].

(ثانياً :أضرارها على أعضاء الجسم

العضو	الاضرار
الكبد	الكبد الدهني، التهاب الكبد، تليّف الكبد وسرطانه.
القلب	ارتفاع الضغط، اضطراب النبض، ضعف عضلة القلب.

١ المصدر :المعهد الوطني الأمريكي لتعاطي الكحول وإدمانه .(NIAAA)

الدماغ	اضطراب الذاكرة والتفكير والتوازن.
البنكرياس	التهاب البنكرياس الحاد والمزمن.
المعدة	الالتهابات والنزيف واضطرابات الهضم.
الأمعاء	اضطراب امتصاص الغذاء والتهابات الجهاز الهضمي.
الأعصاب	التنميل والألم وضعف الإحساس.
المناعة	ضعف مقاومة العدوى.
العظام	انخفاض كثافة العظام وزيادة خطر الكسور.
الجهاز التناسلي	اضطرابات الخصوبة والوظيفة الجنسية)[1]

(ثالثاً :الخمرة والسرطان

وهذه من أخطر الحقائق التي قد لا يعرفها كثيرون.

وقد صنّفت الوكالة الدولية لأبحاث السرطان الكحول ضمن المواد المسرطنة المؤكدة للإنسان (المجموعة الأولى).

ويرتبط استهلاك الكحول بزيادة احتمالات الإصابة بسبعة أنواع من السرطان، أبرزها:

١- سرطان الفم.

٢- سرطان البلعوم.

٣- سرطان الحنجرة.

٤- سرطان المريء.

٥- سرطان الكبد.

٦- سرطان القولون والمستقيم.

٧- سرطان الثدي.

والأخطر أنّ زيادة الاستهلاك تزيد عموماً من خطر الإصابة، ولا توجد كمية ثبت أنّها خالية تماماً من مخاطر السرطان).

---

١ المصدرNIAAA :، تقرير تأثير الكحول في أعضاء الجسم.

(رابعاً :الأضرار الاجتماعية والعائلية

١- تفكك الأسرة والطلاق.

٢- الاعتداء على الزوجة والأطفال.

٣- زيادة حوادث السير.

٤- ارتكاب الجرائم تحت تأثير السكر.

٥- الاعتداءات الجنسية.

٦- فقدان الوظيفة.

٧- الفقر وتبديد الأموال.

٨- إهمال تربية الأطفال.

٩- زيادة احتمالات الانتحار وإيذاء النفس.

١٠- تراجع الثقة الاجتماعية).

(ومن اللافت أنّ أضرار الخمرة لا تقع على شاربها وحده؛ فقد يكون ضحاياها أشخاصاً لم يشربوا قط.

فوفق منظمة الصحة العالمية، من بين ٢٩٨ألف وفاة مرتبطة بحوادث الطرق الناجمة عن الكحول عالمياً عام ٢٠١٩، كانت ١٥٦ألف وفاة بسبب شرب شخص آخر للكحول).

أرقام عالمية مذهلة

وفق منظمة الصحة العالمية:

المؤشر	الرقم
الوفيات المنسوبة للكحول عالمياً عام ٢٠١٩	٢,٦مليون
الوفيات بين الرجال	مليونا وفاة
الوفيات بين النساء	٦٠٠ألف
المصابون باضطرابات تعاطي الكحول	٤٠٠مليون
الذين يعانون الاعتماد على الكحول	٢٠٩ملايين

الوفيات المنسوبة للكحول بسبب أمراض القلب والأوعية	٤٧٤ألفاً
وفيات السرطان المنسوبة للكحول	٤٠١ألف

هذه أرقام عام ٢٠١٩، وهي من أحدث التقديرات العالمية الشاملة التي تعرضها صحيفة الحقائق المذكورة للمنظمة)[١].

المحكمة الإلهية في الدنيا، نماذج وأمثلة

ثالثاً: المحكمة الإلهية في الدنيا، فإنّ الناس يتوهّمون أنّ المحاكمة الإلهية خاصة بالآخرة، لكنّه توهّم خاطئ، فإنّ المحكمة الإلهية سارية المفعول في الدنيا، سواء على مستوى الآثار المعنوية أم على مستوى الآثار المادية.

من لا يغفر الله له أبداً

– الكليني، عن علي، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال:

«إِذَا هَمَمْتَ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَيْرِ فَلَا تُؤَخِّرْهُ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ رُبَّمَا اطَّلَعَ عَلَى الْعَبْدِ وَهُوَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الطَّاعَةِ، فَيَقُولُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي، لَا أُعَذِّبُكَ بَعْدَهَا أَبَداً.

وَإِذَا هَمَمْتَ بِسَيِّئَةٍ فَلَا تَعْمَلْهَا، فَإِنَّهُ رُبَّمَا اطَّلَعَ اللَّهُ عَلَى الْعَبْدِ وَهُوَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْمَعْصِيَةِ، فَيَقُولُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي، لَا أَغْفِرُ لَكَ بَعْدَهَا أَبَداً[٢]».

والرواية صحيحة الإسناد.

وذلك خطير حقّاً ومخيف جداً؛ إذ كثيراً ما يقول أحدنا: إنّها كذبة بيضاء، أو غيبة عابرة، أو مجرد نظرة محرّمة سريعة، لكنّه يغفل عن أنّ الله تعالى لربما اطّلع عليه حينئذٍ اطلاع غضب، فيحرمه سعادة

---

١ من النافع الرجوع إلى هذه المصادر الأربعة، فهي مؤسسات علمية وصحية رصينة:

١– منظمة الصحة العالمية WHO: Alcohol – WHO.

٢– المعهد الوطني الأمريكي لتعاطي الكحول وإدمانه NIAAA: تأثير الكحول في أعضاء الجسم.

٣– المعهد الوطني الأمريكي للسرطان NCI: الكحول ومخاطر السرطان.

٤– مراكز مكافحة الأمراض والوقاية منها CDC: الكحول والصحة).

٢ الشيخ الكليني، الكافي، دار الكتب الإسلامية. طهران: ج٢ ص١٤٣.

الأبد، ليس أنّه يتوب ولا تُقبل توبته، بل إنّه لا يُوفّق للتوبة بعدها أبداً حتى يموت آثماً آبقاً... فيدخل النار.

وفي رواية أخرى:

من يُنزع منه روح الإيمان

– الكليني، عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن ابن فضّال، عن ابن بكير، قال: «**قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ (عليه السلام) فِي قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله): إِذَا زَنَى الرَّجُلُ فَارَقَهُ رُوحُ الْإِيمَانِ؟ قَالَ: هُوَ قَوْلُهُ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ذَاكَ الَّذِي يُفَارِقُهُ**[1]».

الرواية موثّقة سنداً.

والمؤمن له خمسة أرواح، كما في الروايات، أحدها روح الإيمان، وهو الذي به يتقرّب إلى الله تعالى، وبه يكون قلبه منيراً ووجهه منيراً.

وفي رواية أخرى:

ما يسبب زوال النِعَم

– الصدوق، عن القطان، عن ابن زكريا، عن ابن حبيب، عن ابن بهلول، عن أبيه، عن عبد الله بن الفضل، عن أبيه، عن أبي خالد الكابلي، قال: سمعت علي بن الحسين (عليه السلام) يقول: «**الذُّنُوبُ الَّتِي تُغَيِّرُ النِّعَمَ: الْبَغْيُ عَلَى النَّاسِ، وَالزَّوَالُ عَنِ الْعَادَةِ فِي الْخَيْرِ وَاصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ، وَكُفْرَانُ النِّعَمِ، وَتَرْكُ الشُّكْرِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ[2]﴾...**»[3]

ولنلقِ بعض الضوء على قوله (عليه السلام): «**وَالزَّوَالُ عَنِ الْعَادَةِ فِي الْخَيْرِ وَاصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ**»، فإنّ الناس إذا واجهوا ضغطاً اقتصادياً، فإنّهم عادة يبدأون بقصقصة أعمال الخير وتقليصها أو حتى إلغاء الصدقات والتبرعات، مع أنّ ذلك يشكّل خطراً عليهم؛ إذ إنّهم بذلك لا يستحقون أن يتفضّل الله عليهم بإنقاذهم من محنتهم من حيث لا يحتسبون، أي من فضله وإحسانه وكرمه.

---

١ المصدر: ص٢٨٠.

٢ الرعد: ١٢.

٣ الشيخ الصدوق، معاني الأخبار، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة: ص٢٧٠.

أمّا المؤمن الذكي الفطن، فإنّه بالعكس، يستمر في أعماله الخيرية يواصل تبرعاته وصدقاته كلّها رغم الضائقة، ولو بالاقتراض، وفي المقابل يقصقص من نفقاته الشخصية، فلا يسافر ولا يتبذّخ، ويقتصد في المأكل والمشرب ونحو ذلك.

الاخطبوط الذي امتص دماء التاجر!

ومن أروع القصص في هذا الحقل أنّني قبل أكثر من عقدين من الزمن كنت في العمرة، وكنت حال الإحرام واقفاً أعلى الدرج المؤدي إلى المطاف، وأنا أقرأ الأدعية التي تُتلى حينئذٍ، وأنا أنظر إلى الكعبة المشرفة في مشهد ما أروعه، وإذا بشخص يقف إلى جواري، فلم ألتفت له؛ لانشغالي بالدعاء، وكان الظاهر أنّه بدأ يقرأ معي، ولمّا انتهيت والتفت إليه وجدته أحد التجار المحترمين، وبعد المجاملات الأولية قال لي إنّه رأى رؤيا فُزِع منها جداً، وهي:

قال: شاهدت في المنام أخطبوطاً كبيراً قد التفّ حولي، وبسط أذرعه الثمانية على جميع أنحاء بدني، وهو يمتص دمائي حتى كاد أن يمتصّها كلّها، فاستيقظت مرعوباً؟

قلت له: لعلّ الرؤيا ترمز، والله العالم، إلى أنّك ستتعرّض لأزمة اقتصادية كبيرة جداً، تخسر فيها كل أموالك، والحلّ، لو فرض صحة ذلك، أن لا تقطع أعمالك الصالحة وصدقاتك أصلاً، فإنّ هذا الموقف المشرف يستجلب رحمة الله تعالى ولطفه وكرمه.

قال لي: إن شاء الله، سأسعى لذلك، وودّعني وانصرف.

ثم رأيته بعد سنين، فقال: كان الأمر كما ذكرت لي؛ إذ بدأ إعصار اقتصادي بتدمير شركاتي ومعاملي وثروتي، فتذكّرت وصيتك وواصلت أعمال الخير، وكان من جملة أعماله أنّه كان قد تكفّل خمسة آلاف يتيم، يجري لهم مرتّبات شهرية، فلم يقطع منهم أبداً، حتى إنّه باع بيته، وكان قصراً، ليواجه النكسات الاقتصادية، لكنّه لم ينقص من رعايته للأيتام شيئاً... وكان أن فرّج الله عنه من حيث لا يحتسب، في قصة مطوّلة، بل أنه عاد أقوى ممّا كان.

محكمة الآخرة

رابعاً: محكمة الآخرة، وهذه المحكمة هي التي يعرفها عامة الناس، فلننقل روايتين قلّ من سمعهما:

الذين يصدّون أولياء الله

– الكليني، عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن ابن سنان، عن منذر بن يزيد، عن المفضّل

بن عمر، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «**إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَادَى مُنَادٍ: أَيْنَ الصَّدُودُ لِأَوْلِيَائِي؟ فَيَقُومُ قَوْمٌ لَيْسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ لَحْمٌ، فَيُقَالُ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ آذَوُا الْمُؤْمِنِينَ وَنَصَبُوا لَهُمْ وَعَانَدُوهُمْ وَعَنَّفُوهُمْ فِي دِينِهِمْ، ثُمَّ يُؤْمَرُ بِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ**[1]»، والصَّدود على وزن فَعول، يعني كثير الصدّ، نظير مَنوع، أي كثير المنع.

ومن الواضح أنّ المعذّبين في السجون، في مختلف البلاد، وكذلك الكثير ممّن بأيديهم القوة، من رجال الاستخبارات أو القوى العسكرية المختلفة، يستغلّون مواقعهم لإيذاء المؤمنين والمؤمنات، فهذا جزاؤهم أولاً: أن يتساقط اللحم عن وجوههم، فيُكشف عن هيكل عظمي مرعب، ثم، وهذا هو الأخطر، يُؤمر بهم إلى جهنّم.

الذين يؤذون الجيران

– الصدوق في حديث مناهي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، أنّه قال: «... **مَنْ آذَى جَارَهُ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ رِيحَ الْجَنَّةِ، ﴿وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾، وَمَنْ ضَيَّعَ حَقَّ جَارِهِ فَلَيْسَ مِنَّا. وَمَا زَالَ جَبْرَئِيلُ (عليه السلام) يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ**»[2].

ذلك أنّ كثيراً من الجيران يؤذون جيرانهم، إمّا برفع صوت المذياع أكثر من الطبيعي، أو بإلقاء القمامة أمام بيت الجار، أو بالتطلّع من السطح على دورهم، أو بوقوف بعض شبابهم في طريق فتيات الجار والنظر إليهن ومشاكستهن عندما يخرجن أو يدخلن، ونحو ذلك من أنواع الإيذاء المحرّم.

محكمة العوالم الأخرى

خامساً: محكمة العوالم الأخرى، والكثير من الناس لا يعلم عنها شيئاً، وذلك كعالم الملائكة وسائر المخلوقات التي نجهل عنها كل شيء تقريباً، والروايات تدلّ على ذلك، ومنها: «**وَالذُّنُوبُ الَّتِي تُظْلِمُ الْهَوَاءَ وَتَحْبِسُ الدُّعَاءَ: عُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ**[3]».

ونحن لا نعلم حقيقة إظلام الهواء، ولعلّه كناية عن نشر الطاقة السلبية في الجو، أو أمر آخر أعظم،

---

١ الشيخ الكليني، الكافي، دار الكتب الإسلامية ـ طهران: ج٢ ص٣٥١.

٢ أمالي الصدوق: المجلس السادس والستون ح ١ / ٣٤٩ ، ونقل عنه في بحار الأنوار : ٧١ / ١٥٠.

٣ الشيخ المفيد، الاختصاص، الناشر: المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد ـ قم: ص٢٣٨.

وعلى أيّ حال، تدلّ الروايات على أنّ أصنافاً من العصاة تلعنهم الملائكة، وتلعنهم السماوات والأرض، واللعنة تعني الطرد عن رحمة الله، فلعلّ لعنة الله لهم ملء السماوات والأرض، تعني أنّهم من أيّ مكان من السماوات والأرض كان يمكن أن تأتيهم الرحمة، فإنّ الله تعالى يحجبها عنهم، ولعل الأمر أعمق من ذلك.

ومن أظهر مصاديق ذلك أولئك الذين ظلموا فاطمة الزهراء، وقد ورد فيهم:

لمحة من عقوبة ظَلَمَةِ الزهراء (عليها السلام)

عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «**إِنَّ فَاطِمَةَ (عليها السلام) شَعْرَةٌ[1] مِنِّي، فَمَنْ آذَى شَعْرَةً مِنِّي فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ، وَمَنْ آذَى اللَّهَ لَعَنَهُ مِلْأَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْض**[2]».

عن ابن عباس، عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنّه قال: «**إِنَّ فَاطِمَةَ شِجْنَةٌ مِنِّي، يُؤْذِينِي مَا آذَاهَا، وَيَسُرُّنِي مَا يَسُرُّهَا، وَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَيَغْضَبُ لِغَضَبِ فَاطِمَةَ، وَيَرْضَى لِرِضَاهَا**[3]».

و«**فَاطِمَةَ شِجْنَةٌ مِنِّي**»، هو المطابق لـ «**فَاطِمَةَ بَضْعَةٌ مِنِّي**[4]»، والشجنة بضم الشين وفتحها وكسرها تعني الشعبة من الشيء، والغصن الملتف المشتبك، فهو (صلى الله عليه وآله) يشير إلى أنّها (عليها السلام) قطعة منه متشابكة معه تشابكاً قوياً بيّناً واضحاً كثيفاً، كتشابك الغصن الملتف المشتبك مع الشجرة.

ومن الحقائق المسجّلة أنّ فداحة الجريمة تُقاس بمكانة ومنزلة وشأن الذي وقعت عليه الجريمة، فإذا ضرب شخص ابنه ظلماً كان قبيحاً محرّماً دون شك، لكنّه إذا ضرب والدته مثلاً، كان أقبح وأشدّ حرمة بوضوح، وكذا لو ضرب تلميذه وضرب معلّمه وأستاذه، فإنّ الثاني أقبح وأشدّ حرمة، فكيف لو ضرب والده الذي هو معلّمه أيضاً؟! فكيف لو اعتدى على مرجع تقليده؟! ثم كيف لو اعتدى على ابنة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وسيدة نساء العالمين (عليها السلام)، وبتلك الوحشية المفرطة،

---

١ المستظهر أن الصحيح: شجنه، وأن النسخة مصحّفة.

٢ علي بن عيسى الإربلي، كشف الغمة في معرفة الأئمة: ج١ ص٤٦٧.

٣ الشيخ الصدوق، معاني الأخبار، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة: ص٣٠٣.

٤ أمالي الصدوق: المجلس الثاني والعشرون، ح٣.

خاصة وأنّ ذلك جرى في بيت من بيوت الله تعالى: ﴿**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ**[1]﴾، وهي المساجد وبيوت الأنبياء، وقد ورد في الروايات أنّها من أفاضلها، فقد حدّثني أبو الحسن الصيدلاني وأبو القاسم بن أبي الوفاء العدناني، قالا: حدثنا أبو محمد بن أبي حامد الشيباني، قال: أخبرنا أبو بكر بن أبي دارم بالكوفة، قال: حدثنا المنذر بن محمد بن المنذر بن سعيد بن أبي الجهم قال: حدّثنا أبي، قال: حدّثنا عمي [عن] أبان بن تغلب، عن نفيع بن الحارث، عن أنس بن مالك، وعن بريدة، قالا: «**قَرَأَ رَسُولُ الله (صلى الله عليه وآله) هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿وَالْأَبْصارُ﴾ فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ بُيُوتٍ هَذِهِ؟**

قَالَ: بُيُوتُ الْأَنْبِيَاءِ.

فَقَامَ إِلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْبَيْتُ مِنْهَا، لِبَيْتِ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ، مِنْ أَفَاضِلِهَا[2]»

شهادة سلمان على الهجوم على دار فاطمة (عليها السلام)

والآن لننطلق في رحلة إلى أعماق التاريخ، لنسأل شاهد عيان من أعظم أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو سلمان المحمدي، عما جرى في واقعة الهجوم على دار فاطمة (عليها السلام).

قال سليمٌ قلتُ ياسلمانُ ... هل دخلوا ولم يكُ استئذانُ؟!
فقال: إي وعزةُ الجبار ... وما على الزهراء من خمارِ
لكنها لاذت وراء الباب ... رعايةً للسترِ والحجابِ
فمُذ رأوها عصروها عصره ... كادت بنفسي أن تموت حسره
نادت أيا فضةُ أسنديني ... فقد وربي أسقطوا جنيني
فأسقَطَتْ بنتُ الهدى واحزنا ... جنينها ذاك المسمى محسنا

---

١ النور: ٣٦-٣٧.

٢ عبيد الله بن عبد الله الحسكاني، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية ـ طهران: ج١ ص٥٣٤.

أتُضـــرَمُ النـــارُ ببـــابِ دارهـــا ... وآيـــةُ النـــورِ علـــى منارهـــا
وبابهـــا باب نـــبي الرحمـــه ... وباب أبـــواب نجـــاة الأمـــه
بـــل بابهـــا باب العلـــي الأعلـــى ... فـــثمّ وجـــه الله قـــد تجلـــى
مـــا اكتســـبوا بالنـــار غـــير العـــارِ ... ومـــن ورائـــه عـــذاب النـــارِ
مـــا أجهـــلَ القـــوم فـــإن النـــارَ لا ... تُطفـــئُ نـــور الله جـــل وعـــلا
فـــاحمرّت العـــين وعـــين المعرفـــه ... تـــذرف بالـــدمع علـــى تلـــك الصـــفه
ولا يُزيـــل حمـــرة العـــين ســـوى ... بـــيضُ الســـيوفِ يـــومَ يُنشـــرُ اللـــوا
وللســـياط رنـــةٌ صـــداها ... في مســـمع الـــدهر فمـــا أشـــجاها
والأثـــر البـــاقي كمثـــل الـــدُمْلُجِ ... في عضـــد الزهـــراءِ أقـــوى الحُجَـــجِ
ومـــن ســـواد متنهـــا اســـودّ الفضـــا ... يا ســـاعد الله الإمـــام المرتضـــى
ووكـــز نعـــل الســـيف في جنبيهـــا ... أتـــى بكـــل مـــا أتـــى عليهـــا

ثم لنستمع إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) بنفسه، وهو يقرأ مصيبته على الزهراء صلوات الله عليها:

المصيبة التي قرأها الإمام علي في رثاء فاطمة الزهراء

عن الإمام الحسين عليه السلام: قال: ««**لَمَّا قُبِضَتْ فَاطِمَةُ (عليها السلام)، دَفَنَهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ سِرّاً، وَعَفَا عَلَى مَوْضِعِ قَبْرِهَا، ثُمَّ قَامَ فَحَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَى قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله)، فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنِّي، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ عَنِ ابْنَتِكَ وَزَائِرَتِكَ، وَالْبَائِتَةِ فِي الثَّرَى بِبُقْعَتِكَ، وَالْمُخْتَارِ اللَّهُ لَهَا سُرْعَةَ اللَّحَاقِ بِكَ.**

قَلَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنْ صَفِيَّتِكَ صَبْرِي، وَعَفَا عَنْ سَيِّدَةِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ تَجَلُّدِي، إِلَّا أَنَّ لِي فِي التَّأَسِّي بِسُنَّتِكَ فِي فُرْقَتِكَ مَوْضِعَ تَعَزٍّ، فَلَقَدْ وَسَّدْتُكَ فِي مَلْحُودَةِ قَبْرِكَ، وَفَاضَتْ نَفْسُكَ بَيْنَ نَحْرِي وَصَدْرِي.

بَلَى، وَفِي كِتَابِ اللَّهِ لِي أَنْعَمُ الْقَبُولِ ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ﴾ قَدِ اسْتُرْجِعَتِ الْوَدِيعَةُ، وَأُخِذَتِ الرَّهِينَةُ، وَأُخْلِسَتِ الزَّهْرَاءُ، فَمَا أَقْبَحَ الْخَضْرَاءَ وَالْغَبْرَاءَ يَا رَسُولَ اللَّهِ!

أَمَّا حُزْنِي فَسَرْمَدٌ، وَأَمَّا لَيْلِي فَمُسَهَّدٌ، وَهَمٌّ لَا يَبْرَحُ مِنْ قَلْبِي أَوْ يَخْتَارَ اللَّهُ لِي دَارَكَ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا

مُقِيمٌ.

كَمَدٌ مُقَيِّحٌ، وَهَمٌّ مُهَيِّجٌ، سَرْعَانَ مَا فَرَّقَ بَيْنَنَا، وَإِلَى اللَّهِ أَشْكُو، وَسَتُنْبِئُكَ ابْنَتُكَ بِتَظَافُرِ أُمَّتِكَ عَلَى هَضْمِهَا، فَأَحْفِهَا السُّؤَالَ، وَاسْتَخْبِرْهَا الْحَالَ، فَكَمْ مِنْ غَلِيلٍ مُعْتَلِجٍ بِصَدْرِهَا لَمْ تَجِدْ إِلَى بَثِّهِ سَبِيلًا، وَسَتَقُولُ وَيَحْكُمُ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ.

سَلَامَ مُوَدِّعٍ لَا قَالٍ وَلَا سَئِمٍ، فَإِنْ أَنْصَرِفْ فَلَا عَنْ مَلَالَةٍ، وَإِنْ أُقِمْ فَلَا عَنْ سُوءِ ظَنٍّ بِمَا وَعَدَ اللَّهُ الصَّابِرِينَ.

وَاهَ وَاهاً، وَالصَّبْرُ أَيْمَنُ وَأَجْمَلُ، وَلَوْ لَا غَلَبَةُ الْمُسْتَوْلِينَ لَجَعَلْتُ الْمُقَامَ وَاللَّبْثَ لِزَاماً مَعْكُوفاً، وَلَأَعْوَلْتُ إِعْوَالَ الثَّكْلَى عَلَى جَلِيلِ الرَّزِيَّةِ.

فَبِعَيْنِ اللَّهِ تُدْفَنُ ابْنَتُكَ سِرّاً، وَتُهْضَمُ حَقَّهَا، وَتُمْنَعُ إِرْثَهَا، وَلَمْ يَتَبَاعَدِ الْعَهْدُ، وَلَمْ يَخْلَقْ مِنْكَ الذِّكْرُ، وَإِلَى اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ الْمُشْتَكَى، وَفِيكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحْسَنُ الْعَزَاءِ.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَيْهَا السَّلَامُ وَالرِّضْوَانُ[1]».

الملخص: يتوهّم المجرمون والظالمون أنّهم إذا تفادوا المحاكم الدنيوية المعهودة، فإنّهم سيكونون بمنأى عن العذاب، لكنّ البحث يلفت الأنظار إلى وجود عشرة محاكم لا بدّ أن يُعاقَب المجرم فيها جميعاً أو في بعضها، ويدرس البحث خمسة منها، موكلاً البقية إلى بحث قادم، وهي: محكمة الضمير، ومحكمة الجسد، والمحكمة الإلهية في الدنيا، ومحكمة الآخرة، ومحكمة العوالم الأخرى.

موجّهاً إلى أنّ الروايات الشريفة من جهة، والحقائق العلمية والإحصاءات من جهة أخرى، تؤكّد كلّها على أنّ العقوبة في هذه المحاكم لا مناص منها، إمّا جميعاً أو في الجملة، ليختم، بمناسبة أيام الفاطمية الثانية، بالشهادة العينية التي يقدّمها لنا سلمان المحمدي، ثم بالرثاء الذي يشجي القلب ويكلم الفؤاد، الذي قرأه أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد دفنه فاطمة الزهراء (عليها السلام)، مخاطباً رسول الله (صلى الله عليه وآله).

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون والعاقبة للمتقين

وصلى الله على محمد واله الطيبين الطاهرين

يمكن ملاحظة الدرس والتقرير على الموقع التالي: m-alshirazi.com

١ الشيخ الكليني، الكافي، دار الكتب الإسلامية ـ طهران: ج١ ص٤٥٨-٤٥٩.